

الحدث قتل والدته وإخوته الخمسة... وانتحر؟

أعدم شاب عشريني إخوته الخمسة ووالدته وانتحر. المشهد لا يمكن تخيله، لكن الجريمة حصلت بالفعل. ليست جريمة فحسب، هي مجزرة. وصف رده جيران الضحايا. أرواح سبعة أفراد من عائلة واحدة أزهقت، مساء أمس، في منزلهم الكائن في محلة رأس النبع

رضوان مرزعي

أربع جثث. جثتان. جثة واحدة. هكذا توزعت سبع جثث في غرف منزل تحول إلى مسرح جريمة مساء أمس. الجثث السبع تعود لأفراد عائلة واحدة يشتبه في أن هادي، الابن البكر، هو قاتلها. هكذا رجح المحققون. ومن دون سابق إنذار، أفنيت عائلة عن بكرة أبيها، باستثناء الوالد، علي الحاج ديب، الذي شاء القدر أن يبقى ليُفجع بفledات أكباده في ليلة واحدة. علي لم يكن يعلم ماذا ينتظره أمس. عاد من بلدته عرمتي، قضاء جزين، حيث كان في زيارة ذويه. فتح باب منزله واختبر أفضع ما يمكن أن يتخيله عقل. اكتشف الجريمة. وأي جريمة!

وجد الجميع قتلى. جثث لا حياة فيها. رفيقة دربه وأبناؤه غارقون في دمائهم. لم ينج أحد منهم. حتى ابنته الصغرى اخترقت جسدها الناعم طلقة نارياً أو أكثر. من يدري ماذا مَرَّ في بال علي في تلك اللحظة؟ هل صدق ما رآه عيناه؟ هل تماكنت قدماه قوامها؟ قرب أي جثة ركع وأبها احتضن؟

كانت جثة زوجته وجثث أولاده الثلاثة في الصالون. أما جثث بناته فتوزعن بين غرفتين؛ اثنتان في غرفة والثالثة في غرفة لوحدها (أكبر الأشقاء 23 عاماً والوالدة 55 عاماً). الإصابات توزعت في أماكن مختلفة من أجساد الضحايا، لكنها كانت قاتلة. الغريب أن أحداً من الجيران لم يلحظ أو يسمع شيئاً. ارتكب المجرم جريمته بهذا الهدوء. صوب وشد الزناد وأطلق النار من دون أن يعبا بأحد. كيف يُعقل أن يُقتل سبعة أشخاص بطلقات نارياً، في حي مكتظ بالسكان، من دون أن ينتبه أحد لذلك. الغموض يلف الجريمة، هكذا وصف معظم الأمنيين الحال. كان هناك شبه إجماع بأن أحداً لم يسمع شيئاً، لكن مسؤولاً أمينياً ذكر لـ«الأخبار» أن بعض الجيران أفادوا بأنهم سمعوا أصوات إطلاق نار متقطعة، لكنها لم تكن واضحة. وصف هؤلاء أصوات الطلقات التي سمعوها بـ«العميقة». يشير المسؤول الأمني إلى أن القاتل أغلق جميع منافذ المنزل تحسباً لذلك.

لم يشاهد أحدُ الوالد بعد دخوله إلى المنزل بقي هناك مع عائلته طوال ساعات تجاوزت الأربع. يذكر أمنيون أنه كان متماسكاً نسبة إلى هول الفجيعة، لكن تماسك المفجوع لم ينعكس على أكثر من مسؤول أمني. يروي أحدهم تأثره بمنظر جثة صبي، لما يتجاوز الرابعة عشرة، وُجدت تحت طاولة. بعيد المسؤول المذكور تركيب المشهد في مخيلته. يخمن أن الصبي حاول الاختباء، لكن القاتل وصل إليه. أسكت أنفاسه برصاصة مخنوقة. يحكي المسؤول عن قشعريرة سرت في بدنه لدى

ضائع

عند أول زيارة للرئيس سعد الحريري لسوريا، بقيت يومين جالساً في المنزل

ويقول «إننا سبقنا الزهرة المعتدلة في العالم العربي». بعد دقائق، ولدى سؤاله عن أي ملاحظات أو استفسارات من الحاضرين، يتقدم أحدهم بتعليق ساخر نظراً إلى معرفته بالأمين العام: «إذا لم تعتن بالزهرة فإن الحشرات تنهشها وتيبس». يرد الحريري: «ارتك الاعتناء على طريقتنا ومش على طريقتك».

يسأل أحد الحاضرين عن الهجمة الميقاتية على التيار، يجيب الحريري إن المستقبل لن يقف في وجه أي طرف يريد تقديم المساعدات وإنماء المنطقة. تنتهي الجلسة السريعة في منزل فتفت، وينتقل الجميع إلى مسجد البلدة للمشاركة في صلاة الجمعة. يعيد السؤال وي طرح نفسه في السيارة، ماذا عن الهجمة الميقاتية؟ يجيب الحريري: «الرئيس الحريري يكسب بصمته اليومي، إذ إن الآخرين يخطنون. الرئيس ميقاتي وحزب الله وغيرهم يرتكبون الأخطاء التي تصب في مصلحتنا من دون أي جهد».

يدخل أحمد الحريري إلى الجامع. يبتعد عن الصف الأول ويجلس في الوسط لمتابعة خطبة الجمعة. ثم في تأبين أحد أبناء المنطقة، فيقف مجدداً في صف الانتظار كغيره. يسأل عن وضع فلان ويجيب عن سؤال علان، يتقدم بالتعازي ليعود الموكب وينطلق باتجاه منزل منسق التيار في الضنية، هيثم الصمد. في هذه الدار، يظهر أحمد الحريري قوته بين الناس، إذ يلقي عليهم التحية فرداً فرداً، مسؤولين ومواطنين ومرزعين، مردداً أسماءهم عن غيب. وإذا أخطأ باسم أحدهم، يصلح ما بدر عنه بالطريقة الآتية «عفواً نعم، وأنت رقمك...» متلفظاً برقم هاتف الشخص الذي غاب اسمه عن باله. يجعل هذا الأمر من أحمد الحريري قريباً من الناس، وخصوصاً في مناطق الأطراف المنسية، الذين يستعدون لقتهم بانفسهم عند مقابلة أي شخص من آل الحريري، مسؤولو المستقبل في الضنية والشمال يؤكدون أن «الطلات» المتكررة لأحمد الحريري ساعدت على ثبات جمهور التيار الذي حافظ على ما يقدر من 90% من ناسه. يؤكد المستقبلون أن القيادة استطاعت إعادة ترتيب صفوفها بعد نكستي الانتخابات البلدية والنيابية الفرعية «التي أخطأ فيها منسقون ونواب».

وما يهم المستقبلين أن تيارهم استطاع تركيز نفسه كحزب خلال بعد الانتخابات الفرعية، وأنه «ليس خاضعاً لأهواء العائلات وأجوائها» كما يقول المسؤولون. يضيفون إن ما اكتسبه التيار رغم النتيجة المتواضعة في الفرعية أن «الناس فهمت أن هناك قراراً حزبياً يجب الالتزام به»، والأهم من ذلك أن «العلم الدين فهموا أن ترشيح كاظم الخير لم يحصل كرهأ بعائلتهم أو انتقاماً من ورنها، بل لكون القيادة ارتأت ترشيحه». يعمل المستقبلون في الضنية والمنية ليل نهار، فيتواصلون مع العائلات ويوطدون العلاقات معها. يعلمون أن النائب جهاد الصمد ليس بخصم

تخيله تمسك الصبي بحياة لم يختبر منها شيئاً، لكنها انترزعت منه لأسباب مجهولة. يتخيل أنه سمعه يصرخ قبل أن يموت.

دوافع الجريمة لا تزال مجهولة. أهالي الحي يجمعون على أن العائلة كانت بسيطة جداً. يقطنون منذ مدة طويلة في الطبقة الثانية من المبنى. يملك الوالد فرناً لبيع المعجنات على بعد رمية حجر من منزله. أما المشتبه فيه، الابن هادي (25 عاماً)، فيؤكد من عرفه بأنه كان «درويشاً». صفة تطلق على طيبي القلب. من جهة ثانية، يذكر جيران آخرون أنه كان منطوياً على نفسه، لا بل غريب الأطوار في بعض الأحيان. يشير هؤلاء إلى أنهم لم يروه يوماً مع صديق له. معلومات استند إليها المحققون للاشتباه في أن يكون هو من ارتكب الجريمة قبل أن ينتحر. قرائن أضيفت إلى الوضعية التي عثروا فيها على جثته. فقد كان جالساً على كرسي والدم يخرج من فجوة في رأسه من الخلف. يرجح مسؤول أمني أنه قد وضع قوهة البنذقية الأوتوماتيكية في فمه، قبل أن يضغط على الزناد ويضع حداً لحياته. فرضية لم يؤكد المحققون، الذين لم يستبعدوا أن تكون هناك احتمالات أخرى.

وتحدثت مسؤول أمني عن مشاكل مالية تواجهه العائلة، وأشار إلى وجود خلافات عائلية، لافتاً إلى أن الوالد كان مختلفاً مع أشقائه منذ مدة طويلة. المسؤول نفسه أكد أن جميع المعلومات المتناقلة لا تزال في إطار التكهنات، بانتظار أن يحسم التحقيق المسألة.

هنا رأس النبع. شارع عمر بن الخطاب تحديداً. عشرات الأشخاص يتجمعون حول أحد المباني. القوى الأمنية تحاول تفريقهم. يرتفع صوت صراخ ليبدأ عراك بين المحتشدين من جهة، وعناصر من

قوى الأمن الداخلي من جهة ثانية. حصل خلاف تطور إلى تضارب بالأيدي، تمكنت القوى الأمنية من احتوائه. دقائق يتجدد الخلاف، قبل أن يهدأ مجدداً. سببه صراخ العسكر على الشبان المحتشدين لإبعادهم. عقارب الساعة تشير إلى التاسعة من مساء الأحد. الجميع يسأل عما حصل. سيارات الإسعاف، التي بلغ عددها سبع، وصلت إلى المكان. تعطلت إحداهما قبل أن يتم إصلاحها. غير أن جثث القتلى بقيت في المنزل حتى ساعات متأخرة من فجر اليوم. كشف الطبيب الشرعي عليها، فيما تولت الأدلة الجنائية رفع البصمات داخل الشقة.

المنطقة شهدت استنفاراً أمنياً كثيفاً. عناصر الجيش تولوا تطويق الحي لضبط الأمن. القاضبان جورج كرم ومايا كنعان كانا هناك، إضافة إلى عدد من ضباط قوى الأمن الداخلي والجيش.

حاول الصبي الاختباء تحت الطاولة لكن القاتل أسكت أنفاسه هناك



اشتبكت القوى الأمنية مع المواطنين بعد محاولتها تفريقهم (مروان بو حيدر)